الخبر الصاعقة : فيضان المجاري في أم النصر

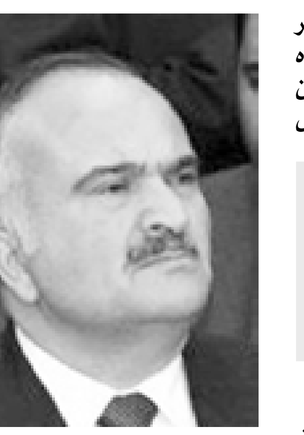

الحسن بن طلال

• رئيس منتدى الفكر العربي وراعيه؛ سفير الإيسيسكو للحوار بين الثقافات والحضارات؛ رئيس شرف منظمة المؤتمر العالميّ للأديان من أجل السلام

صعقنا الأسبوع الماضي بسماع الأخبار المأساوية عن حصول فيضان للمجاري في شمال غزة. إن الحديث عما أثارته في النفس من مشاعر الألم والكآبة لا يفي هذه الواقعة حقها. ففي هذه البلدة، التي يقطنها ثلاثة آلاف نسمة، لقي خمسة أشخاص على الأقل حتفهم، فيما لا يزال البحث جاريا عن المزيد من الضحايا.

أدرك تماما أنه على الرغم من الجهود الحثيثة التي تُبذل من أجل تخفيف معاناة الفلسطينيين ورفعها، إلا أننا نعيش في عالم يغلب عليه الشعور الفاتر بمعاناتهم، وكأننا قد ألفنا متابعة هذه الأحداث ومشاهدتها بدون أدنى اكتراث. لكن الوضع مختلف هذه المرة. كيف يمكننا أن ندعَ الأطفال الفلسطينيين يغرقون في غائطهم تحت أنظار الأمم المتحدة والجهات الدولية؟ إنه لأمر يتعذّر تبريره من وجهة أخلاقية!

يجب ألا ننسى للحظة واحدة، ونحن في خضمّ هذا الوضع المزري، أن السبب الرئيسي وراء مظاهر الضعف والهشاشة التي ابتُلي بها الفلسطينيون هو الاحتلال غير القانوني لأراضيهم الذي أدى إلى وجود أعداد كبيرة من اللاجئين والمهجّرين في مناطق ضيقة محددة تفتقر إلى البنى التحتية الضرورية. وكان لذلك الآثار المدمرة التي نعرفها جميعا.

لا نودّ في هذا الوضع المتأزم أن نوجّه أصابع اللوم إلى أي جهة، أو نتساءل عما إذا كان للمقاطعة الدولية للحكومة الفلسطينية دور في وقوع الكارثة. إنني أكتب إليكم والأمل يملأني بأن يتم اتخاذ الإجراءات السريعة المناسبة لمعالجة هذه المصيبة التي حلّت بإخوتنا في فلسطين.

أولاً: على المجتمع الدولي أن يحشد الموارد المطلوبة من أجل مساعدة الأسر المنكوبة، مع الأخذ بالحسبان أن هذه الكارثة أفقدتهم كل ممتلكاتهم، ومن غير المحتمل أن يحصلوا على أي شكل من التعويضات.

ثانيا: لا بد من إجراء تحقيق للوقوف على الأسباب التي أدت إلى حدوث هذه الكارثة لضمان عدم تكرارها.

يجب ألا ننسى للحظة واحدة، ونحن في خضمّ هذا الوضع المزري، أن السبب الرئيسي وراء مظاهر الضعف والهشاشة التي ابتُلي بها الفلسطينيون هو الاحتلال غير القانوني لأراضيهم الذي أدى إلى وجود أعداد كبيرة من اللاجئين والمهجّرين في مناطق ضيقة محددة تفتقر إلى البنى التحتية الضرورية. وكان لذلك الآثار المدمرة التي نعرفها جميعا.

حديث متفائل في بحر الظلمات

أحمد ماهر
وزير خارجية مصر السابق

أكتب هذا المقال بينما بدأ وزراء الخارجية العرب الإعداد في الرياض للقمة التي ستكون قد انعقدت عندما ينشر هذا المقال، ولذلك فقد تكون مغامرة أن أحاول التنبؤ بما سوف تخرج به، ولكني متفائل إذ جاءت بعض التقارير بأن الزعماء قرروا إجراء لقاءات مصغرة تتيح مناقشات جادة وصريحة وشاملة لبحث الأوضاع العربية، التي تمر بمرحلة دقيقة تقتضي خطوات عملية، تؤكد وزن الأمة العربية وقدرتها على أن تواجه التحديات بطريقة فعالة، وأن تقف في وجه محاولات التقسيم والتفتيت.

وتظل القضية الفلسطينية هي الشغل الشاغل لكل عربي، رغم كل محاولات الوقيعة أو تغيير الموضوع أو تمييعه، كما يحاول البعض منا للأسف سواء بحسن نية أو بسوء نية، حين يحاولون إلغاء أحد مكوناتها الأساسية مع عودة الأرض ، وهي حقوق اللاجئين التي يدعون أنها حجر عثرة في سبيل إقامة السلام، ويجب التخلي عنها بمساعدة الأشقاء الماليزيين والاندونيسيين والأتراك «أصحاب الرؤية الخارجية الجريئة». وبعد ذلك ربما سوف ينصحون بالتخلي عن حجر عثرة آخر، هو المطالبة بالأرض المتبقية كلها بعد أن ابتلعت إسرائيل ٨٠٪ من أرض فلسطين، ثم ترك القدس لإسرائيل رغم أنف المسلمين والمسيحيين. وبذلك تنال الرضاء السامي ويقبل الإسرائيليون وأصدقاؤهم من الكبار والصغار عروضنا للسلام بعد ان يكونوا . بمعاونة البعض منا للأسف . قد مسخوا مبادرتنا الشجاعة والنبيلة من أجل تسوية عادلة تتفق مع الشرعية . والحمد لله أن هذه المحاولات قد ووجهت من جانب كل الدول العربية بالرفض الواضح الصريح بعد أن جاءتهم الآنسة رايس بها نيابة عن المستر أولمرت والسيدة ليفني، مدعية أنها لا تملك أن تطالب العرب بتعديل مبادرتهم لأنها مبادرتهم، فإنها تتمنى لو قاموا بعملية تجميل لها حتى يقبلها الإسرائيليون الذين لن يرضيهم في النهاية. كما تعلم هي وغيرها. إلا رضوخ عربي كامل يستطيعون أن يحلموا به ولكنه . كما يؤكد قادتنا وشعوبنا . لن يكون.

وبمناسبة حماس الآنسة رايس المفاجئ ونشاطها الذي تدعي أنه يعكس إصرارها ورئيسها على المساعدة على تسوية القضية الفلسطينية، فإن الدهشة تنتاب من يذكرون كيف أن الرئيس بوش وإدارته منذ توليهم مقاليد الأمور وقيادتهم قافلة الحنية المتواصلة، كانوا حريصين على ألا يتناولوا القضية حتى لا تحترق أصابعهم كما احترقت . في رأيهم . أصابع كلنتون، وعلى ألا يتحركوا أية حركة إلا بمباركة العناصر الصهيونية في صفوف المحافظين الجدد. ولكن يبدو أن واشنطن. وهي تواجه ورطة في العراق. تحاول أن تحصل من الدول العربية على مساعدة مهما كان شكلها في مقابل عملة مزيفة هي الادعاء بالرغبة الحقيقية في المساعدة على تسوية القضية الفلسطينية بعد أن ساهمت هي ذاتها في توتير الأوضاع في الموضوعين. ففي العراق ليس هناك شك في أن سياساتها التي تجاهلت فيها الأمم المتحدة في مراحل كثيرة واستندت إلى دعاوى كاذبة أو مختلقة قد أدت إلى نشر الفوضى وانعدام الأمن حتى أصبح تقسيم البلاد قريبا من أن يصبح حقيقة على أسس طائفية ودينية وعرقية لها انعكاساتها الكارثية على المنطقة كلها، إلى درجة أن الكثير من العراقيين وبعض المراقبين المحايدين أصبحوا يترحمون آسفين على العهد السابق مع أنه كان عهدا ممقوتا أساء إلى شعبه وأمته إساءة بالغة. وقد جاء شنق صدام حسين وصحبه بطريقة أثارت زوابع إنسانية وقانونية أضافت إلى الحمل الثقيل الذي يتحمله الاحتلال الأمريكي وأعوانه من العراقيين الذين فضلوا النظرة الانتقامية الضيقة على التعامل السياسي الحكيم. ولعله من الغريب من الناحية القانونية البحتة أن ينفذ حكم الإعدام الصادر في إحدى القضايا مع أن هناك قضايا أخرى عالقة كان من المهم أن يواجهها المتهمون لتنجلي الحقيقة كاملة بدلا من أن يصبح تنفيذ الحكم مجرد انعكاس لروح طائفية. وما دمنا نتحدث عن العراق فنشير إلى تناقض في موقف الولايات المتحدة التي كشف سفيرها في بغداد أنه أجرى اتصالات مع من كانوا . وربما لا يزالون . يسمونهم بالإرهابيين أو المتحررين السنة، علاوة على تعاونهم في الحكومة مع من كانوا يعتبرونهم عملاء لإيران. هذا بينما سارعت واشنطن . إزاء نجاح حماس في الانتخابات الفلسطينية الديموقراطية الحرة . إلى قيادة حملة فرض حصار ظالم على الشعب الفلسطيني بأكمله، ومساندة العدوان الإسرائيلي المستمر على الأراضي الفلسطينية سواء بالاجتياح والغزو، أو بالتجويع والامتناع عن سداد المستحقات، أو بالاستمرار في بناء الجدار التوسعي الاستعماري، وتوسيع المستعمرات القائمة وغير ذلك من مظاهر العدوان ومحاولة تخريب تشكيل حكومة الوحدة الوطنية، ثم رفض التعامل معها عندما تشكلت والضغط على الآخرين لكي يسلكوا مثل هذا السلوك المعيب. ولعلي في هذا الصدد أشير إلى ما صدر أخيرا من عدد من الجنود الإسرائيليين الذين خدموا في الأراضي المحتلة من اعتراف بخزيهم لما قاموا به من تصرفات بأوامر من قياداتهم ضد المواطنين الفلسطينيين تصل إلى درجة جرائم الحرب مثل تلك التي ارتكبها الجيش الإسرائيلي عبر السنين ضد الأسرى المصريين في سلسلة لم تنقطع من الفظائع التي يجب أن يحاسب عليها من ارتكبوها ومن أصدروا الأوامر بها الذين نراهم اليوم يتولون مناصب مهمة.

هذا حديث متفائل أكتبه قبل القمة، وأثق في أنني لن أغيره بعد أن يكون اللقاء قد انتهى عند نشر هذا المقال أو اقترب من الانتهاء، لتبدأ مرحلة جديدة من التحرك الآمن وسط الأنواء حتى تنقشع السحب وتسطع الشمس ولو كره الكارهون منا ومن غيرنا . على أمة تعرف مسارها وتدرك مكامن قوتها وتقدر . دون تهويل . مواقع ضعف من يحاولون أن ينفذوا . تحت دعاوى مختلفة . مخططات الإنهاك والتقسيم.

ولا ننسى أيضا كيف أنه . في لبنان . عملت واشنطن جاهدة ونجحت في تعطيل التوصل إلى وقف إطلاق النار على أمل أن تتمكن إسرائيل من تنفيذ غرضها وظل هذا التعطيل أياما إلى أن ثبت أن إسرائيل غير قادرة على أن تحقق أهدافها العسكرية فاضطرت إلى الانسحاب، ولكنها للأسف تركت بلدا قسمه الغزو بعد ان كان قسمه الاغتيال الإجرامي للرئيس الحريري.

كل هذه الأوضاع الخطيرة تواجهها القمة العربية التي أثق بأنها قادرة . إذ ابتعدت عن القرارات الروتينية المتكررة . وعن البيانات المطولة سابقة التجهيز. على أن تضع الخطط العملية للتحرك إزاءها في جميع الاتجاهات تأكيدا لحقيقة أن الأمن القومي العربي لكل دولة وشعب في مواجهة هجمات معنوية ومادية تستهدف الجميع مهما تظاهرت بغير ذلك. إن تفاؤلي الذي أرجو أن يتحقق. يستند إلى أن هناك اقتناعا عاما ألمسه بهذه الحقائق، في الوقت الذي تجد فيه الولايات المتحدة نفسها في ورطة تشعر فيه أنها بحاجة إلى المساعدة لكي تخرج منها، وإذا كان الشعار «إنه لا يوجد غذاء مجاني» الذي ابتدعه الأمريكيون فإنه من الأولى أن يطبق عليهم. وأنا أتحدث هنا عن صفقة دون أن أخشى استخدام تلك الكلمة التي ابتذلت كثيرا، ولكنها صفقة محترمة ترمي إلى إعادة الأمن والوحدة والاستقلال التام للشعب العراقي بجهد عربي استكمالا لما بذل من جهد سابقا، يؤدي إلى انسحاب قوات الاحتلال في أقرب وقت. صفقة تتبنى المبادرة العربية كما صدرت من قمة بيروت ٢٠٠٢ والتي تمثل تزاوجا بين الشرعية والروح العملية. صفقة تسوي مشكلة السلاح النووي. الموجود فعلا في إسرائيل وحدها. والمحتمل التطلع إليها في دول أخرى لأغراض قد لا تكون إلا دفاعية. تسوية غير انتقائية.

لقد تحدثت عن الأوضاع الصعبة التي تواجهها الأمة العربية، ولكني في نفس الوقت أشير إلى أوراق نستطيع أن نستفيد منها دون تهديدات جوفاء أو الدخول في مغامرات غير محسوبة. إن عناصر القوة موجودة فلسنا نقف إزاء المشكلات منزوعي السلاح.

هذا حديث متفائل أكتبه قبل القمة، وأثق في أنني لن أغيره بعد أن يكون اللقاء قد انتهى عند نشر هذا المقال أو اقترب من الانتهاء، لتبدأ مرحلة جديدة من التحرك الآمن وسط الأنواء حتى تنقشع السحب وتسطع الشمس ولو كره الكارهون منا ومن غيرنا . على أمة تعرف مسارها وتدرك مكامن قوتها وتقدر . دون تهويل . مواقع ضعف من يحاولون أن ينفذوا . تحت دعاوى مختلفة . مخططات الإنهاك والتقسيم.

قمة الجرأة العربية على حساب راديكاليات الثرثرة!

راغدة درغام- نيويورك

سرقت انجازات قمة المبادرات العربية التي عقدت في الرياض الاسبوع الماضي زمام المبادرة من أرباب المهاترات والمزايدات ووضعت اصحاب اللاءات في موقع دفاعي وهجومي في آن.

نقلت قمة الرياض الواقعية العربية إلى مرتبة تضع المملكة العربية السعودية، بصفتها رئيس القمة للسنة المقبلة، أمام تحديات عسيرة وضرورية ذات فرص مصيرية لمنطقة الشرق الأوسط برمتها. أقحمت المسألة الفلسطينية على الأجندة الدولية بعدما كانت الذاكرة الدولية تقترب من محوها. في الوقت ذاته، ايقظت القيادتين والقاعدتين الشعبيتين في فلسطين وإسرائيل إلى عواقب استمرار عدم جهوزيتهما معاً وسوياً للسلام وللاتفاق على حل الدولتين.

أبلغت الى الولايات المتحدة وأوروبا الاستعداد العربي الجماعي لنقلة نوعية في العلاقة مع إسرائيل إذا تمكنتا معاً من اقناعها بحل الدولتين بسلام. لمحت في الوقت ذاته إلى إمكان التخلي الجماعي في الساحتين العربية والإسلامية عن دعم حل الدولتين والخيار السلمي لترك المعركة تتحول إلى حرب بين الراديكالية الإسرائيلية والراديكالية العربية - الإسلامية من دون أن يكون الاعتدال العربي المنطقة الفاصلة بينهما.

هذه القمة وضعت فلسطين في الصدارة، وحاولت حماية لبنان من الاحراج المهين من دون أن تتخلى قيد أنملة عن المبادئ الرئيسية التي تحمي مستقبله مثل قيام المحكمة الدولية لمحاكمة الضالعين في الاغتيالات السياسية فيه. وبين ما لفت الأنظار في قمة الرياض هو ذلك الجديد غير المعتاد نحو دارفور والذي تمثّل في الإقدام على طرح هذه المسألة بدلاً من تقليد اخفائها في كواليس وهوامش القمم العربية التي اعتادت دفن الرؤوس في الرمال.

قمة الرياض عالجت القديم وأقدمت على جديد، وأطلقت آليات غير معتادة. أقرت أن عليها مسؤولية لعب دور في العراق ستسعى إلى تهذيبه. بعثت بمؤشرات أن دورها نحو إيران يأتي ضمن الاجماع الدولي المتنامي نحو طهران. وفي شأن المرأة، ليس صدفة أن تخاطب الشيخة هيا بنت راشد آل خليفة القمة العربية كأول سيدة تفعل ذلك، كما انها أول مرة تُوجه فيها دعوة إلى رئاسة الجمعية العامة للامم المتحدة للمشاركة في قمة عربية. وهذه رسالة أخرى مهمة أطلقتها قمة الرياض.

هذه الانجازات تُعتبر حقاً انجازات فقط إذا كانت بدايات لا تُعامل وكأنها محطات وصول. ولذلك يقع العبء الأكبر على رئاسة القمة في مرحلة ما بعد القمة التي استحوذت على قدر كبير من الجهد تهيئة لانجاحها. الرئاسة ليست وحدها المسؤولة عن إدارة الملفات للسنة المقبلة التي تتولى فيها مهمات الرئاسة، لا سيما وأن أصحاب القضايا وأطراف النزاعات هم أول المطالبين بالجرأة على معالجتها. لكن رئاسة المملكة العربية السعودية في هذه السنة المعقدة ذات الفرص غير الاعتيادية، تتطلب من الرياض قيادة غير معتادة تكسر أسوار محرمات معيّنة وتشيد الأسس والهياكل الجديدة لاستقرار المنطقة.

جيد ما أحرزته القمة العربية بجهود مشتركة لقيادات الاعتدال في ملف فلسطين. فتفعيل المبادرة العربية للسلام لم يأتِ بمجرد إعادة طرح مبادرة قديمة اعتمدتها قمةَ بيروت عام ٢٠٠٢. جاء التفعيل، أخيراً، برفقة آلية تنفيذ وانشاء لجنة مكلفة باجراء الاتصالات اللازمة في الأمم المتحدة ومع اللجنة الرباعية التي تضم الولايات المتحدة والأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي وروسيا من أجل حشد التأييد للمبادرة وبدء مفاوضات جادة على أساس المرجعيات المتفق عليها.

ما صدر عن قمة الرياض هو عبارة عن تكليف للمملكة العربية السعودية بلعب دور قيادي ينقل مبادرة السلام العربية إلى عتبة جديدة. الاجماع العربي على التمسك بالمبادرة وتفعيلها شمل موافقة حكومة الوحدة الوطنية الفلسطينية عليها، مما يجعل «حماس» الآن طرفاً في الاجماع العربي الرسمي على الاعتراف بإسرائيل والتطبيع معها مقابل استعدادها للانسحاب من الأراضي التي احتلتها عام ١٩٦٧، أي الى حدود الهزيمة والانتصار في حرب ١٩٦٧.

هذه القمة استعادت المبادرة والزخم من الصفوف الراديكالية التي لا تقدم سوى الرفض والـ «لا» الدائمة. أعطت رئاسة القمة شبه ولاية لدور متجدد وجديد ومرن يحرّك الملف الفلسطيني - الإسرائيلي لإعادة طرح عملية السلام بحيث يكون الانجاز على المسار الفلسطيني - الإسرائيلي هو المحفز لسلام عربي - إسلامي مع إسرائيل.

الوزن السعودي المرفق بولاية عربية يأتي في فترة تشهد تحركاً جدياً للإدارة الأميركية واستعداداً واضحاً للانخراط الأميركي في دفع المفاوضات الفلسطينية - الإسرائيلية. فإدارة جورج دبليو بوش تعود تدريجاً إلى صواب الرؤية التي أطلقتها في مطلع ولاية الرئيس الأميركي في نيسان ٢٠٠٢ والتي احتوت على قيام دولة فلسطين مكان الاحتلال الإسرائيلي لعام ١٩٦٧.

سرقت انجازات قمة المبادرات العربية التي عقدت في الرياض الاسبوع الماضي زمام المبادرة من أرباب المهاترات والمزايدات ووضعت اصحاب اللاءات في موقع دفاعي وهجومي في آن.

وزيرة الخارجية كوندوليزا رايس تعمل على احياء المفاوضات الفلسطينية - الإسرائيلية متأبطة التزام الرئيس الأميركي بإحياء الجهود الأميركية بجدية. إنها تتعامل مع الرئيس الفلسطيني محمود عباس كشريك للولايات المتحدة ولا تقاطع حكومة وحدة فلسطينية تضم «حماس». إنها تتحدث عن آفاق سياسية للمفاوضات وليس عن مجرد عملية تفاوض دائمة. وما تواجهه رايس من صعوبات مع الحكومة الإسرائيلية قد يؤدي بالرئيس الأميركي - المعروف بنزعة العناد في وجه من يضع العصا في دواليبه - إلى الإصرار على إسرائيل بمواقف غير معهودة.

فليس صحيحاً أن فترة الـ٢٠ شهراً المتبقية من ولاية بوش هي فترة «البطة العرجاء»، إذ أن مفاتيح صنع السياسة الخارجية ما زالت في حوزته، وهو راغب بإنجاز يختم به رئاسته. فالرئيس السابق بيل كلينتون استفاق الى عملية السلام في الشرق الأوسط في السنة السابعة من ولايته، فعقد محادثات كامب ديفيد وتقدم بـ «مبادئ كلينتون للحل» والمعروفة بـ «بارامترز» (parameters) التي عرضها للأخذ في حينه وليس لترثها الإدارة المقبلة. كذلك جورج بوش الأب، فإنه عقد مؤتمر مدريد للسلام عام ١٩٩١ في أواخر ولايته بعدما أمضى وزير الخارجية حينذاك جيمس بيكر ٩ شهور من المفاوضات المكوكية بين الأطراف، وواجه صعوبات إسرائيلية كبيرة، شأنه شأن رايس الآن.

رايس تواجه صعوبة أخرى تتمثل في معارضة أقطاب مهمين في الإدارة الأميركية لما تقوم به وبينهم نائب الرئيس ديك تشيني. ما سيحسم موقف جورج دبليو بوش من المعسكرين في إدارته هو المواقف العربية والإسرائيلية. ومن هنا تأتي أهمية الخطوات المقبلة في مسيرة تفعيل المبادرة العربية بتركيزها على القضية الفلسطينية وفي أطر زمنية تسرّع وتيرة التحرك نحو هدف المفاوضات الضرورية حول الوضع النهائي للأراضي الفلسطينية المحتلة ومعالجة قضايا الحدود والأمن والقدس واللاجئين.

الآن، توجد على الطاولة مبادرة عربية مرفقة بآلية تنفيذ وتسويق. يوجد على الطاولة تصور دولي واضح لعناصر ومتطلبات صنع السلام في «خريطة الطريق» إلى قيام دولة فلسطينية بجانب دولة إسرائيل. توجد رؤية للرئيس الأميركي وعزم على احيائها واخراجها من قفص الصقور والمتطرفين داخل الإدارة الأميركية الذين نجحوا في الاقفال عليها بحجة الإرهاب. الآن، أخرجت القضية الفلسطينية من قفص الإرهاب الذي زُجت فيه بقرار الصقور والمتطرفين الأميركيين والإسرائيليين وبمساهمة الصقور والمتطرفين الفلسطينيين. ويوجد اليوم توافق فلسطيني رسمي على القبول بالمبادرة العربية التي تنطوي على عنصر الاعتراف بإسرائيل وبحل الدولتين. ما ليس موجوداً ولا مطروحاً على الطاولة هو أي مبادرة إسرائيلية للسلام أو أي طروحات تثبت العزم الصادق على تنفيذ حل الدولتين.

الاستراتيجية العربية الضرورية في هذا المنعطف تتطلب زج إسرائيل في زاوية الاختيار ليُسحب منها غطاء التظاهر برغبتها بالسلام وبحل الدولتين في الوقت الذي تثبت فيه هروبها الدائم من هذا السلام وحل الدولتين.

تتطلب ابلاغ إسرائيل، ومعها الولايات المتحدة، أن الاعتدال العربي لن يلعب دور المنطقة الفاصلة بين التطرف الإسرائيلي والأميركي والتطرف العربي والإسلامي. تتطلب الايضاح العارم بأن سقوط حل الدولتين يعني سقوط خيار التفاوض على سلم ليحل محله خيار المقاومة لإزالة الاحتلال. تتطلب القول: فليكن. إنما ليس قبل اطلاق حملة استراتيجية تثبت الجدية العربية نحو السلام، وتحرك الرأي العام العالمي كشريك في الضغط على إسرائيل، وتنقل العلاقة الأميركية - الإسرائيلية إلى خانة مواجهة الرفض الإسرائيلي الدائم للسلام بأعذار مختلفة.

هذه الاستراتيجية تتطلب من رئاسة القمة العربية الأفكار والاجراءات غير المعهودة مثل الجلوس مع اللجنة الرباعية الدولية في إطار الرباعية العربية - التي تضم السعودية ومصر والأردن والإمارات - لدفع الطرفين الإسرائيلي والفلسطيني نحو تنفيذ حل الدولتين في سلسلة لقاءات معهما سوية. الذين يقولون إن هذا تطبيع قبل أوانه يتناسون أن قمة مدريد للسلام عام ١٩٩١ جمعت المسؤولين السعوديين والسوريين مع المسؤولين الإسرائيليين. يتناسون أن المفاوضات على المسار السوري - الإسرائيلي جمعت وزير الخارجية الحالي وليد المعلم مرات عدة على طاولة واحدة مع المسؤولين الإسرائيليين.

الجلوس مع الإسرائيليين لتنفيذ المبادرة العربية ضمن الآلية التي أقرتها القمة العربية هو أمر طبيعي ومنطقي وضروري للضغط على إسرائيل لتثبت جديتها في المفاوضات مقابل اثبات الجدية العربية في المفاوضات. هذا ليس اعترافاً مسبقاً ولا حاجة للتحدث عن اعتراف. المهم الآن لرئاسة القمة العربية أن تفعّل المبادرة العربية نحو الصلح مع إسرائيل بمفاوضات تشارك فيها ضمن الرباعية العربية وبشراكة مع الرباعية الدولية. الاعتراف يأتي لاحقاً، وليس الآن.

فقمة الرياض ليست قمة اللاءات على نسق قمة الخرطوم التي أطلقت اللاءات الثلاث، لا اعتراف ولا مفاوضات ولا صلح، ولم تسفر لثلاثين سنة سوى عن المزيد من المآسي للشعوب العربية وفي مقدمها الشعب الفلسطيني. إنها قمة الجرأة على زخم جديد يزيد من عزلة الراديكاليين المتطرفين الذين تعلو ثرثرتهم وهم حقاً يتراكمون في زاوية التطويق. فلقد أخذت قمة الرياض زمام المبادرة من الراديكالية ورئاستها مسؤولة الآن عن انجاح الاعتدال وتحقيق انتصاره بهزيمة واضحة للراديكالية والتطرف الممتد من السودان إلى لبنان، مروراً بفلسطين والعراق باستثمار مباشر من إيران.

إيران قُزمت في مجلس الأمن الدولي الأسبوع الماضي بعقوبات وصفعة على الوجنتين بإجماع شمل روسيا والصين، وحتى جنوب افريقيا وقطر. البهورة الإيرانية التي رافقت أزمة الجنود البريطانيين ذكّرت بالرئيس العراقي السابق صدام حسين الذي تبنى أسلوب التصعيد حتى آخر رمق قبل أن يتسلق هبوطاً بإرادته إنما مجبراً. فالجمهورية الإسلامية تثرثر بصوت مرتفع لأنها تدرك أنها فشلت في تصدير نموذجها، وأن تطويقها يتم بقرارات دولية، وأن مصيرها هو الزوال لتعود إيران إلى الساحة الدولية دولة طبيعية.

وحسناً فعلت رئاسة القمة بطرحها قضية دارفور على الطاولة العربية أخيراً، بذلك قزّمت تقاليد الصمت على التجاوزات العربية بلا محاسبة.

حسناً فعلت في إصرارها على المحاسبة على الاغتيالات السياسية في لبنان عبر المحكمة ذات الطابع الدولي، مؤكدة تقزيم أولئك الذين يريدون اجهاض المحكمة، وبعضهم حضر قمة الرياض. انزعاج رئيس الجمهورية اللبنانية اميل لحود من خطاب الأمين العام للأمم المتحدة بان كي - مون الذي دعا فيه إلى مساندة الحكومة اللبنانية المنتخبة شرعياً برئاسة الرئيس فؤاد السنيورة بدا واضحاً في ملامح ذهول لحود. إنما ما ساهم في تقزيم لحود نفسه هو هرولته الى حليفه السوري طالباً المساعدة وخلوته مع الرئيس بشار الأسد لنصف ساعة ليقال له عملياً: كفى في هذه القمة فدمشق في موقع مقزّم تحاول هي بدورها الخروج منه بالكاد.

الأوروبيون يحتفلون بالإنجازات فبماذا يحتفل العرب؟

د. رغيد الصلح

اقترنت الاحتفالات الأوروبية بمناسبة مرور نصف قرن على ولادة الاتحاد الأوروبي بالكثير من مظاهر الاعتزاز والتفاؤل. فخلال القرن الفائت كانت القارة الأوروبية مسرحا لمشروعي تغيير تاريخيين: الاول هو المشروع الماركسي الذي انجب التجربة الشيوعية التي طبقت في دول أوروبا الشرقية، والثاني هو مشروع مونيه-شومان الذي انطلق من أوروبا الغربية فانجب السوق الأوروبية المشتركة والاتحاد الأوروبي. المشروع الثاني لم ينتصر على الاول داخل القارة فحسب وانما على النطاق العالمي ايضا. ففي كل اقليم من اقاليم العالم نجد اليوم دولا تسعى الى الاقتداء بالتجربة الأوروبية.

في المنطقة العربية يبدو الامر مختلفا بعض الشيء. فالدول العربية لم تقتف آثار أوروبا عندما انشأت منظومتها الاقليمية، بل بالعكس اذ انها سبقتها الى ذلك. فمعاهدة روما التي قامت بموجبها السوق الأوروبية المشتركة وقعت في ٢٥ آذار عام ١٩٥٧، اما ميثاق الجامعة العربية فقد تم توقيعه في ٢٢ آذار ١٩٤٥. من ناحية اخرى، فان الأوروبيين اذ يحتفلون بعيد ميلاد اتحادهم، فانهم يفعلون ذلك وفي يدهم لائحة تحوي العديد من الإنجازات الباهرة التي أتمها الاتحاد، اما العرب فهناك جدل حول ما اذا كانوا قد تقدموا خلال هذه الفترة الى الامام او تراجعوا عما كانوا عليه خلال منتصف الاربعينات.

اهم الإنجازات التي جاءت بها السوق/الاتحاد الأوروبي كانت تحقيق السلام القاري. فخلال القرنين التاسع عشر والعشرين انهمك الأوروبيون في قتل بعضهم بعضاً وتدمير مدنهم ومراكز العمران في القارة على نحو لم يحصل في اي اقليم آخر من اقاليم الارض. فخلال حربي ١٩١٤ و١٩٣٩ اللتين جروا اليهما العالم باسره، قتل ما لا يقل عن الستين مليونا من البشر. الآن حتى باعتراف كارهي الاتحاد الأوروبي مثل صحيفة «وول ستريت جورنال» الامريكية المعبرة عن المصالح الاقتصادية الضخمة في الولايات المتحدة، فانه من حق الاتحاد«.. ان يقول بانه ساهم في تحقيق السلام في القارة« (٠٧/٠٣/٢٣).

السلام القاري، على الرغم من اهميته القارية والعالمية، لم يكن الإنجاز الوحيد الذي تحقق بفضل الاندماج الأوروبي، بل رافقه ونجم عنه رخاء لم تعرفه دول القارة من قبل. على سبيل المثال يشير جان-كلود تريشيه، رئيس البنك المركزي الأوروبي الى ايرلندا التي عانت في بعض مراحل تاريخها من فقر مدقع اوصلها الى شفير المجاعة. فهذا البلد بالذات ارتفع متوسط دخل الفرد فيه من ٦١٪ من متوسط دخل الفرد الأوروبي عام ١٩٧٣ عندما انضم الى السوق، الى ١٢٥٪، وانتقل من بلد «عالمثالثي» الى «نمر أوروبي» على غرار النمور الآسيوية التي تحققت فيها المعجزات الاقتصادية.

فضلا عن الإنجازات في مجالات السلم والرخاء، فان الاتحاد الأوروبي يفخر اليوم بانه كان القوة الدافعة وراء انتشار الديمقراطية في القارة بل وعلى النطاق العالمي كله. فالموجة الديمقراطية الثالثة التي يتحدث عنها صموئيل هنتنجتون بدأت في دول أوروبا الديمقراطية.

إذ تحتفل أوروبا بهذه الإنجازات هل تستطيع المجموعة العربية ان تحتفل بإنجازات تضاهيها أو تقترب منها؟

اذا اراد المرء ان يجد اجابة عن هذا السؤال في سجل النظام الاقليمي العربي نفسه، وجد ان العمل العربي الجماعي حقق إنجازات مهمة، ولكنها تختلف في مضمونها ونوعها عن الإنجازات التي حققها الاتحاد الأوروبي، فضلا عن انها لا ترقى الى نفس المستوى من الاهمية التي وصلت اليها إنجازات الاتحاد.

الإنجازات الاهم التي يحق للعمل العربي الجماعي ان يفخر بالمساهمة فيها، هي في مجال دعم نضالات الاستقلال السياسي في الدول العربية. فالمنظمات العربية الاقليمية، وخاصة الجامعة احتضنت كل قضية عربية استقلالية، وكان لها القسط المرموق في تحقيق استقلال اكثر من بلد عربي. بل ان جامعة الدول العربية نفسها ولدت في خضم نضال السوريين واللبنانيين من اجل تحقيق الاستقلال، وكان لها نصيب محترم في دعم نضالهم لتحقيق جلاء الجيوش الاجنبية عن اراضيهم، كما ساهمت مساهمة ملموسة في السنوات اللاحقة في تحرير الدول العربية الاخرى التي كانت خاضعة لانظمة الحماية والوصاية او الالحاق. وقد لا يعي الكثيرون عندنا اهمية الدور الذي تلعبه المنظمات الاقليمية العربية على هذا الصعيد، ولكن من المؤكد ان القوى الدولية المؤثرة تعرف هذا الامر. ولعل الدليل على ذلك هو زيارات كوندوليزا رايس المكوكية المتزايدة بصورة ملحوظة الى المنطقة مع اقتراب موعد القمة العربية.

إن الخارجية الامريكية تعرف الفرق بين مواقف مساندة للقضية الفلسطينية تتخذها هذه الدولة العربية او تلك في مناسبات مختلفة، ودون اي تنسيق ومتابعة فيما بينها، هذا من جهة، وبين مواقف جماعية تتخذها الحكومات العربية وفي اطار مؤسسات اقليمية دائمة، من جهة اخرى. وحيث ان رايس، ومن قبلها وزراء الخارجية الذين سبقوها، يعرفون الفرق بين المواقف المتناثرة التي تتخذها الدول العربية وبين الموقف الجماعي الذي تتخذه، بين المواقف التي يجري تداولها في الغرف المغلقة، وبين المواقف التي تتبلور وسط مراقبة الرأي العام، فانهم يبذلون جهودا مضاعفة ويتدخلون بصورة مباشرة، كما فعلت رايس، حتى لا «ينزلق» القادة العرب الى مسايرة الرأي العام العربي. فعندها يتخذ القادة مقررات تخدم المصالح الوطنية العربية، وتصطدم بالمصالح والاستراتيجيات غير المشروعة والمنافية لمبادئ العدالة الدولية التي تسعى الادارات الامريكية الى تمريرها.

إذا اراد المرء ان يجد إجابة عن هذا السؤال بمتابعة الاحتفالات التي نظمت في المنطقة العربية بمناسبة عيد ميلاد جامعة الدول العربية، او عبر ما يكتب عادة ويقال سنويا كلما اقتربت هذه المناسبة، كان الجواب بالنفي طبعا. ففي غمرة الانهماك بالتحضير لقمة الرياض، فات المسؤولين عن الجامعة الاهتمام بهذه الذكرى. اما صناع القرار فان نصفهم على الاقل لا يتحمس للنظام الاقليمي العربي ولا الى ما يرمز اليه ومن ثم لا يجد نفسه ملزما بتذكير المواطنين والمواطنات بإنجازات المؤسسات الاقليمية العربية. اما صناع الرأي العام، فان قسما لا يستهان به منهم هو من الذين يناهضون هذه المؤسسات ويناهضون فكرة العروبة التي قامت عليها. ودأب هؤلاء في تذكير الرأي العام باخفاقاتها والسعي الى جره الى الكفر بالعمل العربي الجماعي وليس التنويه بايجابياته.

إن المشككين بقيمة النظام الاقليمي العربي وصولا الى تغليب المصالح الامريكية غير المشروعة والمشاريع الاسرائيلية على المصالح والمشاريع العربية المحقة، سوف يجدون في مؤتمر القمة العربية مادة خصبة لنشر روح اليأس والكفر بين المواطنين اذا ما تخلفت القيادات العربية عن اتخاذ القرارات الصائبة في قضايا التحرر من الاحتلال في فلسطين والعراق، وغيرها من قضايا الامن الاقليمي العربي، او اذا تخلفوا عن الاهتمام بقضايا العلاقات الوظيفية بين الدول العربية مثل منطقة التجارة الحرة العربية الكبرى وتنمية مؤسسات العمل العربي المشترك. اما اذا اتخذت القيادات العربية قرارات سليمة في هذه المجالات، فانها ستحمي المصالح العربية وتحمي انفسها في وقت واحد.

المسار الطويل لقمة الرياض

وليد شقير

إذا صح الوصف القائل إن قمة الرياض العربية هي قمة استرداد القرار العربي، فإن هذا الشعار الذي يُفترض ان يلخص ما انتهت إليه، يعني ان القمة تؤسس لمسار طويل قياساً الى السنوات الماضية التي شهدت ما سماه خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز «التراخي العربي».

لقد حدد الملك السعودي الفسحة الزمنية التي شهدت هذا التراخي، المتمثل في غياب الوحدة في الجيوش والاقتصاد والأهداف السياسية بين الدول العربية بستين سنة، هو عمر الجامعة العربية. ومن الطبيعي ألا يقصد ان معالجة هذه الثغرات ستتم سريعاً.

لقد أدى التراخي العربي في العقدين الأخيرين الى التساهل مع السياسات الأميركية في المنطقة بتغييب المنظومة العربية عن معالجة قضاياها، وفي شكل ادى بإيران الى ان تتصدر المواجهة مع اسرائيل والسياسة الأميركية، ما حتّم توسع دورها الإقليمي على حساب دور المنظومة العربية عموماً. وكان السبب انكفاء دول عن لعب دورها العربي، ونتيجة إصرار دول أخرى على فرض دورها على النظام العربي ونتيجة تفضيل دول أخرى اكتساب موقع لها في العلاقة مع قطب السياسة الدولية الواحد المقرر للسياسات بدلاً من اكتساب موقعها من دورها الإقليمي في محيطها بدل اعتماد السلبية في العلاقة مع هذا المحيط. وهو ما يفسر قول الملك السعودي ان القادة العرب، الذين وضع اللوم عليهم، يحتاجون الى استعادة الصدقية، من اجل ان يرتفع علم العروبة على ارض العرب.

ان المسار الطويل الذي يتطلبه استرداد القرار العربي سيصطدم بالطبع بالموقف الأميركي في شأن القضية الفلسطينية وصعوبة تغيير واشنطن سياستها القائمة على الاكتفاء بتأييد السياسة الإسرائيلية في المنطقة. وهذا سيزيد المواجهة بين قوى عدة في المنطقة وبين اميركا، وهنا يكمن التحدي العربي: هل ستأخذ المنظومة العربية من هذه القوى راية الضغط على الصعيد الدولي من أجل ان يرتفع العلم العربي في فلسطين؟ الإجابة عن هذا السؤال هي التي تعجل في المسار الطويل الذي أطلقته القمة العربية.

وبصرف النظر عما يحكى من خلاف داخل الإدارة الأميركية بين فريق وزيرة الخارجية كوندوليزا رايس وفريق نائب الرئيس ديك تشيني حول «الأفق السياسي» الذي تسعى الأولى الى دفعه، فإنه يجب ألا يكون سبباً لطلب التنازلات الجديدة من العرب بحجة دعم «تيار» داخل الإدارة الأميركية هو أقرب الى خيار التفاوض على المسار الفلسطيني – الإسرائيلي، مقابل خيار آخر يدعم التشدد الإسرائيلي. فهذه الحجة اذا استجاب العرب لها ستعيدهم الى ما قبل قمة الرياض التي أطلقت المسار الجديد الطويل. ولذلك تصبح مطالبة رايس الساعية الى إنقاذ خيارها بالأفق السياسي عبر مطالبة العرب بمزيد من التنازلات حيال إسرائيل أمراً محالاً وسخيفاً. وليس أدل على ذلك إلا رفض السعودية ومعها دول الرباعية العربية اقتراح الجلوس مع الإسرائيليين في مؤتمر يحضره أعضاؤها مع أعضاء الرباعية الدولية والجانبين الفلسطيني والإسرائيلي لإطلاق المفاوضات. فما تريده رايس يناقض إعادة تأكيد المبادرة العربية للسلام في قمة الرياض، التي تربط التطبيع مع إسرائيل والجلوس الى الطاولة معها من جانب سائر الدول العربية بانسحابها من الأراضي المحتلة والاتفاق على إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة.

ان تطوير مسار الاستقلال الكامل للسياسة العربية حيال أزمات المنطقة عن السياسة الأميركية هو الذي يتيح للدول العربية ان تستكمل استرداد القرار العربي من إيران في المقابل. وإذا كان الثبات العربي في هذا المسار الطويل لا بد من ان يغيّر في السياسة الأميركية، فإن قمة الرياض إشارة الى طهران بوجوب ان تغيّر من سياستها هي الأخرى في العلاقة مع الدول العربية. وهذا يشمل حلفاءها ايضاً.

لقد رسم قرار مجلس الأمن الأخير الرقم ١٧٤٧ الموقف الدولي الإجماعي من العقوبات الدولية على إيران بالتزام دول أخرى المقصود بها دول حليفة أو صديقة لها، ألاّ تسهل لطهران «توريد ونقل أو بيع» أي أسلحة من أنواع متعددة، مساراً يفرض على دول عربية في الدرجة الأولى ألا تتعاون معها. أليس هذا حافزاً لطهران كي تغير سياستها الإقليمية هي الأخرى، في شكل يجنّبها المزيد من الخصومة مع المنظومة العربية، بالسعي الى توافق إيراني – عربي يغني عن توسيع جبهة خصوم طهران.

أميركا والشرق الأوسط الجديد بين الاعتدال والحلول الجذرية

عصام سعد

تتزاحم الأحداث متسارعة على مساحة قوس الأزمات الممتد من موريتانيا الى افغانستان، في تراكم يحمل على متنه نسبة من المتغيرات، طاولت بنى وأوضاع الشرق الأوسط، واستحدثت ثلة من المفاهيم والآراء والمواقف، لا توحي بسلامة النية ونزاهة الطوية، في وقت يشكل تنوع الهوية مقدمة لتفاوت الرؤى، حول السياسة الأميركية والدولية، وأهدافها التي تهدد استقرار المنطقة العربية واعدة ومتوعدة أنظمتها بضرورة الاصلاح، بما يتلاءم مع النظام العالمي الجديد الذي تقوده واشنطن، التي اعلنت ونفذت حربها على الارهاب، لتدمير مناخه وخلاياه وتجفيف ينابيعه وردع استطالاته، وما زالت محصورة في مستوى الأمن الذي يفتقر الى الحلول السياسية، في مهمة تؤكد عليها لإجبار الدول الممانعة على الاندماج في المجتمع الدولي والتوقف عن زرع العراقيل أمام الأمن القومي والاقليمي والعالمي.

لقد خلقت اميركا تغييرات بيئية شرق أوسطية متحولة لصالح استراتيجيتها، على رغم العثرات الطارئة في مسارها المتعرج والشائك وأقدمت بعد لأي على «تنحية وزير دفاعها رامسفيلد ومندوبها الى مجلس الأمن جون بولتون وغيرهما، وتمت هذه المناقلات تحت تأثير نتائج الانتخابات النصفية، التي أعادت الحزب الديموقراطي الى واجهة السيطرة على مجلسي النواب والشيوخ.

هذا لا يعني الكثير في سياسات الإدارة، كون المحدد الأساس لتوجهات الدولة كامناً في المصالح والعلاقات والاستراتيجيا ومستوى التطور، وفي السلطات لإدارات ومؤسسات المجتمع المدني والمنظمات غير الحكومية ناهيك عن التزامات واشنطن على الصعيد العالمي. أي أن الفوارق بين الحزبين تقع في وسائل ووسائط التنفيذ وأولوية الاهتمامات، وليس في جوهر الصراع والعلاقات والثقل الحضاري عموماً. الأمر الذي أعاد القرار الى الطرف «التقليدي» من المحافظين الجدد.

وعلى رغم وقوف تشيني وراء بوش كاحتياط أخير لنهج المحافظين الجدد الثوري، أتى غيتس، وزير دفاع، يميل الى الحلول السياسية أكثر من الانحياز الى الحروب، تبقى الوقائع المادية لها الأسبقية في توجيه الموقف الأميركي الذي نراه اليوم في التردد عن ضرب ايران، وربما نجح في استبداله بالاحتواء والضغوط التي تشهد مجموعة من التحركات العسكرية والتسريبات الاعلامية عن هجوم نووي ذكي، يدمر المفاعل الايرانية، لجرها كي تمارس براغماتيتها على حساب الرئيس نجاد، لصالح تيار الاعتدال الذي يمثله رفسنجاني وخاتمي وكروبي. علماً ان الاطمئنان لهذه الوجهة وثباتها، لا يوحي به الاصرار الأميركي على «معاقبة» سورية وايران، بعد نجاحها المنتظر مع كوريا الشمالية، التي لم تتراجع الادارة عن اعتبارها من دول «محور الشر» حتى إتمام تخلصها من سلاحها النووي. وهي تتعامل مع النظام السوري بتشدد بارز، تخيره بين تغيير سلوكه على طريقة القذافي الذي لم ينل أي جائزة على انضباطه سوى «بقاء» نظامه، وبين محاصرته والضغط عليه، ويمكن ضربه، لوقف ممانعته العرضية والهادفة الى تحسين شروط التحاقه بالسياسة الأميركية.

وبعد الحرب الاسرائيلية على لبنان، أكدت واشنطن على موقفها المعتمد من القرار ١٥٥٩ الذي ينص على سحب سلاح الميليشيات وبسط سلطة الدولة.. الخ، وتركت سلاح «حزب الله» للحوار اللبناني الداخلي ورعت القرار الدولي الرقم ١٧٠١ الذي وافقت عليه كل الأطراف من حكومة السنيورة الى «حزب الله». وشهدنا تراجع بوش وإدارته عن اتهام ايران بتسليح «المقاومة» العراقية بنوع متطور من الصواريخ والقاذفات.. الخ، وحصرها ببعض القادة (نجاد) فقط هادفاً من ذلك الى تحييد النظام، حتى أنه لم يلم المالكي الذي أفسح المجال أمام اختفاء مقتدى الصدر ومعاونيه قبل تنفيذ الخطة العراقية الجديدة. وقبلت بالدور السعودي في رعاية اتفاق مكة بين «فتح» و «حماس» مع بعض الملاحظات وان كانت قد وافقت على رأي اسرائيل المؤيد من تيار المحافظين الجدد ومنظمة «إيباك» في الإبقاء على الأنظمة العربية «المانعة» والتي تفاوض اسرائيل (كشف عن لقاءات الحوار أخيراً والتي تمت بين سورية واسرائيل قبل وإبان حرب الـ٣٣ يوماً على لبنان) خوفاً من أن يدخل التغيير اسرائيل في مرحلة ضبابية، ربما شهدت هيمنة التيار الديني الذي يمكن أن يمارس شططه العسكري فتغاضت عن استمرار الأنظمة طالما ان الحدود مع الجولان هادئة منذ سنة ١٩٧٤، ولم تحرك السلطة السورية ساكناً في حرب اسرائيل الأخيرة على لبنان.

تعمل اميركا مع الأنظمة المعتدلة منذ معاداتها للاتجاه القومي المقاتل، ووراثتها لتركة الاستعمار الأوروبي بعد الحرب العالمية الثانية. وما زالت العلاقة جيدة ومثمرة، على رغم الضعف العربي وتقلباته وتحديداً بعد كارثة ١١ أيلول والرد عليها بالحرب على الارهاب.

لقد خلقت اميركا تغييرات بيئية شرق أوسطية متحولة لصالح استراتيجيتها، على رغم العثرات الطارئة في مسارها المتعرج والشائك وأقدمت بعد لأي على ''تنحية وزير دفاعها رامسفيلد ومندوبها الى مجلس الأمن جون بولتون وغيرهما، وتمت هذه المناقلات تحت تأثير نتائج الانتخابات النصفية، التي أعادت الحزب الديموقراطي الى واجهة السيطرة على مجلسي النواب والشيوخ.

ومع سقوط النظام العراقي وقبله حكم «طالبان»، قوي النظام الايراني وتراجع الدور السوري بعد أن كان رئيس سورية الراحل هو الذي يملي على حلفائه السياسات الشرق أوسطية. ويمكن أن يشجع موقف كوريا الشمالية ايران، وهي في المراحل الأخيرة من الحوار مع الموقف الأميركي الذي يعتوره رأيان:

الأول: يقول بتقديم المزيد من الحوافز والمساعدات لطهران بالاضافة الى التخصيب السلمي لليورانيوم في روسيا مقابل تخليها عن المفاعلات النووية والحد من دورها الاقليمي ومنعها من الوصول الى البحر المتوسط، والمساعدة لا السيطرة في العراق.

الثاني: التسليم لايران بانتاج سلاحها النووي وامتلاك قنبلة أو اثنتين ضمن ضوابط وقيود دولية وبرعاية الأمم المتحدة، وتحت اشراف الولايات المتحدة. وهذا الخيار ما زال قيد الدرس، وقد صرح به الرئيس شيراك، بطريقة امتزج فيها الجد بالاستسهال. أما سورية التي تقف بصلابة ضد المحكمة ذات الطابع الدولي، وهي تسعى الى الحوار مع اميركا عبر نداءات متكررة حملتها الخطب والمقابلات والتصريحات، لتأمين مخرج لا يطيح النظام السوري عبر المحكمة ذات الطابع الدولي، أو عن طريق توريطه لضربه، ولن تفيده روسيا التي التزمت كل القرارات الدولية الخاصة بلبنان والمؤثرة على ايران والتي تتناول فلسطين، خصوصاً بعد أن بدأنا نسمع تقولات بعض المثقفين حول عودة الحرب الباردة لتدفع المجتمع الدولي، اعتماداً على تصريحات بوتين الصاخبة التي حمل فيها على الهيمنة الأميركية على العالم، وهي مستوى مقبول من الخصومة والتنافس والتحذير في عصر العولمة، لا تعبر عن استراتيجيتين متضادتين. وانما عن اندماج طبيعي لروسيا والصين في النظام الرأسمالي العالمي، حتى ان رفض أمركة العالم كسياسة تلخص عقيدة بوش، تؤكد عليه أيضاً كل من آسيا واوروبا بأشكال متفاوتة، حادة وخجولة. والفرق كبير بين الصراع على اقتسام العالم، وبين إعادة التوازن والاستقرار اليه وعلى امتداد كل جنباته.

ان الذين يتكلمون عن عودة الأصولية الدينية الى اوروبا وتناميها في اميركا، يخدمون التيار الاسلامي في التشبث بالدين وتغييب العقل ومعاداة الحداثة، لأنه يعتبر أن الديموقراطية سقطت على أرضها في الغرب ولا تنفع لبلادنا. ويقدمون التحليلات المسهبة والأقوال السيالة والقراءات المرسلة على عواهنها ومن دون تبصر أو تدقيق، التي تبشر بقرب زوال اسرائيل ودنو ساعة انهيار اميركا، لا يضاهيها في الغباء الا الذي يصرح مستسهلاً، ان «الاسلام هو الحل» أي البديل الذي سيتبوأ القيادة العالمية على انقاض الولايات المتحدة، في تجاهل متعمد لقوة الوحدة الأوروبية والآسيوية بتوجيه اليابان وتعملق الصين وتطور الهند والبرازيل.. الخ.

هذه التحولات في السياسات، ستطاول البنى الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وستغير في البناء العضوي على مستوى الشرق الأوسط الكبير أو الجديد، بصرف النظر عن الآلام التي سيشهدها هذا الطريق.